المكتبة الأدبية المختصة

ديوان

البرقعاوي

الشيخ عبد الصاحب بن الشيخ عبد الهادي

المتوفى ١٤١٥ هـ

جمعه وصححه

ضرغام البرقعاوي

جمعه وقدم له

محيي الدين الجابري

www.ketab.ir

اسم الكتاب: ..... ديوان البرقعاوي
المؤلّف: ..... الشيخ عبدالصاحب بن الشيخ عبدالهادي
الطبعة: ..... الأُولى / ١٤٣٧ هـ
الفلم والألواح الحسّاسة: ..... تيزهوش ـ قم
المطبعة: ..... الوفاء ـ قم
العدد: ..... ١٠٠٠ نسخة
الشابك: ..... ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٧١٠٠ ـ ٦٣

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة الأدبيّة المختصّة

النجف الأشرف / حيّ الغدير / هاتف: ٣٣٤٣١٥ ـ ٢١٢٧٤٣
E-mail: mmuhannd1@gmail.com

www.ketab.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على محمّدٍ وأهل بيته الطاهرين .

لطالما عُدّ الشعرُ في منظومتنا المعرفية متسيّداً على أنماط القول الأخرى ، ومتصدّراً الخطاب الثقافي العربي ، منذ عصور الوعي الإبداعي الأول ، وحتى يومنا هذا ، وانداح الشعرُ في ثنايا البِنى الثقافية والاجتماعية ؛ ليكون الممثلَ الأوّل لخصائصها ، واحتفالُ القبائل الجاهلية ، بنبوغ شعرائها ، خيرُ دليلٍ على مكانة الشعر والشعراء ، التي لم تقدحْ فيها تفسيراتُهم الغيبية للعملية الإبداعية ، بكونها إلهاماً من شياطين ، أو جن ، أو من جهات أخرى .

وإذا سرنا مع المنظومة الحضارية العربية الإسلامية ، سنجد أن الشعرَ ، في أزهى عصور تطورها ، قد نسخ مجمل الأنساق الإبداعية ، وغدا الشاعرُ منتجاً للمعرفة ، لا ناقلاً لها ، إذ بدأت جدليةُ التداول والتثاقف ، والتعالق بين الشاعر ومجتمعه بالنمو والاتساع ، الذي أفضى إلى الهيمنة الكاملة للشعر ؛ لتتمظهر آثارُ هذه الهيمنة في المجتمع ، وبناه الحضارية ، وتشكلاته الثقافية .

www.ketab.ir

وقد استطاع الشاعرُ والشعرُ في صياغة رؤيةٍ فاعلةٍ ومؤثرةٍ في المجتمع من خلال اعتماد آلياتٍ محدّدةٍ للتغيير ، ورسم خطوط الوعي المجتمعي ، بتوظيف جدلية الجمالي والاجتماعي في النسق الشعري ، بمعنى ان الشعرَ كان ممثلاً لثقافة النخبة ، وثقافة العامة ، ويلجأ إليه كلاهما في التعبير عن أدقّ أفكارهم ومشاعرهم وأحلامهم ورؤاهم ، وحادثةُ بشار بن برد تؤكّد ما ذهبنا إليه ، بكون الشعر ممثلاً للذائقة المجتمعية ، فحين عرّضَ بعضُهم بأبياته الشهيرة :

ربابـــةُ ربابـــةُ البيـــتِ تصبُّ الخلَّ في الزيتِ
لهـــا ســـتُّ دجاجـــاتٍ وديكٌ حسنُ الصـــوتِ

ساخرين من قوله في رباب زوجته ، وهو القائل ، رغم أنه أعمى منذ أن ولد :

كأنّ مثارَ النقْعِ فوقَ رؤوسِنا وأسيافنا ليلٌ تَهَاوى كواكبُـهْ

كان جوابه ان أبياته الأولى كُتبت لجاريته ، والثانية لوصف المعركة ، مشيراً إلى كون الشعر بسلطته التداولية قد مثّل المركز الرئيس للمنظومة الاجتماعية والثقافية ، في ظل بنيةٍ حضاريةٍ صاغت من نهج اللغة محدداتِ وجودها وأعمدةِ بقائها .

وإذا كانت فاعليةُ الشعر والشاعر ، قد بدتْ واضحةً في الوهج الحضاري العربي والإسلامي ، فإنّها اليوم تواجهُ اتهاماً خطيراً ، بكون الشعر

www.ketab.ir

قد سحب البساطَ من تحت أرجلِ الأنماط الإبداعية الأخرى ، لكنّه لم يستطعْ أنْ يكون ممثّلاً حقيقياً للشخصيةِ العربية ، ومعبراً عن رؤاها ، بل انزوى في ركن النخبوية القصي ، بعيدا عن التفاعل الحي ، فضلاً عن فشله في خلق حاضنة ثقافية قادرةٍ على قيادة المجتمع ، مع أنّه قد انصاع للمؤثرات البيئية من دون قدرته على التأثير فيها .

ويستتبعُ ذلك استيطانُ الشاعر بقاعَ حواضنٍ ثقافيةٍ لا ترتبط بمجتمعه ، إلا بخيوط سكبوتية واهية ، ليُغرق ذائقتَهَ ووعيَهَ في ثنائيات التراث أو التغريب من دون تبنّيه هذا أو ذاك ، فيغدو النتاجُ موغلاً في الإفراط والتفريط ، بسبب انسحار فاعلية الشعر ، وتحوله من فاعلٍ حقيقي إلى منفعل ، ومن مؤثّرٍ في صيانة بنية حضاريةٍ إلى متأثرٍ تجرفهُ تياراتُ الوعي الزائف ، المفضي إلى تغليف الأفكار وتمنهراتها بأنساقٍ شكليةٍ فحسب .

وبين هذا الإفراط وذاك التفريط ، تتوهّجُ كوىً إبداعيةٌ ، تدلفُ منها شآبيبُ تميّزٍ ، قادرةٌ على إحداث رذاذٍ يرحزح الراكدَ الثقافي ، بتوظيف الفاعليةِ الكامنة في البيئة الأدبية وتحويلها إلى حاضنة ثقافية من خلال ترويض الذائقة السائدة ، والإفادة من مرتكزات الوجود الحي للمجتمع .

ولعلّ البيئةَ النجفيةَ ، بما تستبطنه من أبعاد دينية وثقافية وحضارية ، تمثّل وجوداً حيّا وقادراً على صياغة مقولات التأثّر والتأثير ، وإنتاج منظوماتٍ معرفيةٍ تتبنّى تشكيلَ وعيٍ قارّ ومهيمنٍ ، وهو ما لحظناه في التجارب الإبداعية النجفية ، التي استطاعت تشكيل ذائقةٍ شعريةٍ متخصّصةٍ

www.ketab.ir

بها ، رسمت ملامحَ مدرسة ، اتّسمت بمحدّدات وركائز وأسس جسّرت الهوّةَ الفاصلةَ ، بين العيش في التراث حدّ الاغتراب ، وبين الارتماء في أحضان الآخر الثقافي حدّ التغريب .

وبدتْ ملامحُ تلك المدرسة واضحةً ، من منتصف القرن الماضي ، حين تبنّى شعراءُ النجف النمطَ التقليدي المجدّدَ ، المعتمد على تجاوز الازدواجية اللغوية ، وترويض الذائقة السائدة ، وتخطّي سلطةَ الأنموذج بشقيه ، القديم والجديد ؛ لتنتج نصوصاً قادرةً على التناغم مع البنية المعرفية والرؤية النقدية المعاصرة ، والاتساق مع البعد الحضاري المتجدّد ، فكان الشعرُ معبّراً عن الحياة بكل أشكالها ، وكان قادراً على التسلّل إلى البنيات الثقافية العميقة ؛ لخلخلة وتحديدها وابدالها بما يتّسق ورؤية الشاعر ، الذي استطاع أن يحوّل المجتمعَ بأكمله إلى متذوّق أو قارئ أو ناظم للشعر ، وما يستتبع ذلك من تسيّد ثقافة متميزة أسهمت جدلية العلائق بين الدرس الديني في النجف والقراءة الأدبية في صياغة ملامحها العامة المفارقة لملامح أغلب البيئات المجاورة لها .

وقد أعانتْ الثقافةُ الحقيقيةُ ، المتغلغلةُ في وعي أبناء المدينة والوافدين إليها ، على إبعاد الشاعر عن الفخاخ التي وقع فيها الشعراءُ أنفسُهم في وقتنا الحاضر ، اللذين توهّموا ان نخبوية الشعر تتأتّى من عبادة مظاهر اللغة فحسب ، والطواف حول معانيها تائهين ، من دون الوصول الى نقطةٍ تلتقي عندها الأفكارُ ، أو تفكّ تمتماتُ المعنى طلاسمَ تراكيبها ،

www.ketab.ir

فخلقوا لنا ثقافةً موهومةً ارتكزت على قراءاتٍ متناثرةٍ واستسهالٍ معرفيّ، واهتراءٍ فكريّ وتثاقفٍ مزعوم.

وبالإفراط نفسه تخلّق أنموذج تراثيّ، لمّا يزل يعيش في أروقة العصور العباسية، ويدّعي أنّهُ الوريثُ الأوحدُ لتلك الحقب الذهبية، وقد نجا من تلك الفخاخ كل من ورثَ الأنموذج الشعري النجفي، الذي ذكرنا أهم ملامحه بتمثّله لمعطيات التجديد، والتزامه بالنسق العربي في سنن القول ومعاييره، مع توظيف البنيات الإبداعية.

ويُعدُّ الشيخ عبد الصاحب البرقعاوي أنموذجا للشعر النجفي، الممثّل لبيئته، بتبدّلاتها وانكساراتها، إذ اتّسم باللغة الصافية والفطرة الإبداعية، وأعان ذاتَه الشاعرةَ بقراءاتٍ للتراث الشعري والمعاصر، واستطاع أنْ يوجدَ لنصّه مكاناً متميّزا بين مجايليه، فضلاً عن الشعراء الشباب، اللذين تأثّروا به، واقتفوا آثارَه من خلال نسج نصوصهم على منوال قصائده.

وتأسيساً على ما تقدم أخذت المكتبةُ الأدبيةُ المختصّةُ في النجف الأشرف على عاتقها طباعةَ ديوان الشيخ البرقعاوي مع توثيق نصوصه؛ لحمايتها من السرقة والاقتباس من الآخرين، وتقديمها للنقاد بوصفها أنموذجاً لحقبةٍ زمنيةٍ انمازت بخصائص وسماتٍ، تحتاج إلى من يمارس الحفريات النقدية عليها؛ لتجلية كوامن الإبداع والتميز فيها، ومقاربتها بقراءاتٍ موضوعيةٍ ومعرفيةٍ، تؤسس لفهمٍ نقديٍ، تحتاجه نصوصُنا الإبداعية، التي غالبا ما تخضع لمقارباتٍ سطحيةٍ غير فاعلةٍ، تبخسُ

www.ketab.ir

النصوصَ حقَّها ، في زمنٍ يمثّل النقدُ فيه سلطةً قادرةً على تسويق ما تريد ، وإبعاد ما لا تريد ، من خلال خلقها معايير قد تكون بعيدةً عن الموضوعيةِ والمنهجيةِ العلمية .

المكتبة الأدبية المختصّة

شباط ٢٠١٥ / النجف الأشرف

www.ketab.ir

بسمه تعالى

من نعم الله تبارك وتعالى على المرء ان يصادف وهو يتخبط في مجاهيل مراهقته ، وأول عنفوان شبابه ، من يأخذ بيده إلى طريق الخير ، ويهديه إلى ما ينفعه ، ويرشده إلى صواب العمل ، وحسن السيرة ، ويعيده كلما زلت به قدم او حادت إلى المسلك القويم ، وهذا ما وقع لي بحمد الله وأنا أتعرف في أول الطريق على أستاذي وشيخي الجليل ، العبد الصالح ، والمولى الزاهد ، العامل العابد ، لانا الشيخ عبد الصاحب البرقعاوي رحمه الله ، الذي جمعتني به العناية الإلهية ، في ظرف من أشد ظروف حياتي الشخصية صعوبة وعناءً ، في ظل أيام عسر ومشقة ، عانيت فيها وحشة الوحدة والانفراد ، وغربة الذات .

كان ذلك في أواخر عام ١٩٨٣ ، وقد عرفته رحمه الله الشيخ المرشد ، والأستاذ المربي الحريص ، والموجه الطيب ، الذي يقدم النصيحة ممزوجة بحب وحنان فريدين ، مقترنين بتذكير دائم بما يناسبك وما لا يناسبك ، أن تفعل وأن لا تفعل ، تبعا لتاريخ أسرتك ، وامتدادا لمآثر وأمجاد آبائك وأجدادك .

www.ketab.ir

كان رحمه الله دائما ما يبدأ بتبيان فرادة العلاقة بينه وبين تلميذه ، قبل أن يدعوه إلى الامتناع عن سلوك لا يليق ، أو ينصحه بسلوك مناسب ، وكان لا يدخر وسعا في متابعة تلاميذه ، وتبين أحوالهم ، وتحليل أوضاعهم ، والسؤال عن خصوصياتهم ، حرصا منه على تقويم المعوج ، وتدعيم القويم من سلوكهم وتصرفاتهم .

ما أخذناه عن الشيخ رحمه الله ، من الأخلاق الطيبة ، والسلوك بمعناه الخاص والعام [1] ، كان أكثر بكثير مما أخذناه عنه في علوم العربية ، والشعر والأدب ، فقد كان رحمه الله مدرسة في الطيبة والأخلاق الحميدة ، والتسامح ، والإغضاء عن الإساءة ، وحمل الآخرين على المحمل الحسن ، مهما بدر منهم ، ولم أره في يوم من الأيام غاضبا لنفسه ، ولا منفعلا من كلمة ، ولم يكن يبدو عليه التأثر لقول ، أو فعل لا يرضيه ، قد يصدر من أحد المحيطين به ، بل كان كثيرا ما يلوذ بصمت المتأمل في مثل تلك المواقف .

---

(١) يعرف بعض خواص شيخنا رحمه الله ما كان من سيره وسيرته على سائر العرفاء ، وهذا أمر لم يكن رحمه الله يبديه لأحد ، ولا يتحدث عنه مطلقا ، وكان بعضنا يعرفه بالمصادفة ، أو بحكم قربه الشديد منه ، وقد اشتهر عنه كما روى لي من كان يعرفه عن قرب في شبابه ، انه رحمه الله كان ملتزما بالمندوبات والمستحبات العسيرة التي لا يقوى عليها كثيرون ، وقد قطع يوما سفرا بعيدا له ، ليعود إلى النجف الأشرف قبل ضحى الجمعة ، لكي لا تفوته أعمال الجمعة ، وقد كان حريصا عليها ، ومنها الصلاة المعروفة بصلاة جعفر الطيار عليه السلام .

www.ketab.ir

كان صاحب رسالة شريفة تحمل مشاقها ، عندما تقاعس عنها الكثيرون ، وربما كانت الظروف أقوى وأشد من كثير ممن أهملوها ، أو تهاونوا في حملها مكرهين ، وقد كنت اسمعه يردد مرارا وتكرارا أن رسالته هي خدمة الحرف في هذه المدينة ، ويعني بها بالطبع مدينته ، النجف الأشرف ، والتي أحسب أنه كان يعشقها عشقا لا مثيل له ، وكثيرا ما كان يرفض أن يبيت خارجها ، حتى لو اقتضى الأمر منه أن يعود إليها من بعيد ، ولو في الهزيع الأخير من ليل شتوي بارد .

لا أبالغ إن قلت أن رغبتي في الكتابة عن البرقعاوي رحمه الله تدفعني الى استرجاع كل لحظة عشتها معه ، ونهلت فيها من كريم أخلاقه الفريدة ، لكن أني لي أن اسرد كل شيء ، وهو تاريخ طويل تتخلله قصص وانفعالات ، وأسماء وحكايات ، ونوادر وطرائف ، وأحلام وأوهام ، ووقائع وأحداث ، هي بالتالي تاريخ حقبة الثمانينات من القرن الماضي ، وتاريخ الأدب والشعر في مدينة النجف الأشرف في تلك الحقبة ، ومن يجرؤ على حذف البرقعاوي منها ، بل كيف يمكن لتاريخ الشعر ان يتجاهل سيده في هذه المدينة خلال تلك الفترة ، مع ما امتاز به من نزاهة وترفع ، وسمو خلق ابتعد به عن التملق الفج والرخيص ، وآثر به أن يسير على حد السيف ، متشبثا بحب العراق وأهله ، وناعيا فيهم المآسي التي تتقاذفهم ، دون ان يكون للأصنام نصيب ولو ببيت واحد من شعره آنذاك .

www.ketab.ir

ولا شك ان الشاخص الأكبر ، والعلم الأنور ، في تلك الحقبة الشعرية هو الشيخ عبد الصاحب البرقعاوي ، الذي كان بين خيارين ، الأول أن تخلو النجف أمام عينيه من كل ميزاتها الأدبية والعلمية والثقافية ، وحتى الدينية ، والثاني أن يكون هو في الميدان حاملا راية الأدب والشعر ، مدافعا عنها ، ومربيا لأجيال لولا وجوده بينهم ، لكانوا إما طعمة لماكنة النظام الإعلامية ، أو نسيا منسيا ينسحب بهدوء إلى معاناة شظف العيش ، ومرارة الوجود في ظل دكتاتور أرعن ، وحروب أكثر رعونة منه .

لقد كانت رعاية الشيخ رحمه الله لجيل الشباب في الثمانينات ، سببا في وجود أسماء لامعة اليوم في سماء الشعر العربي عامة والعراقي النجفي خاصة ، ولولا تلك الرعاية المتعهدة منه رحمه الله لما استمرت سلسلة الأجيال المتعاقبة في رسم خريطة الشعر النجفي المعاصر ، ولكانت الحلقات المفقودة من تلك السلسلة أكثر من واحدة تنتظر أن يعاد تشكيل الخريطة الشعرية من جديد ، ولكان الفراغ الممتد منذ نهاية السبعينات وحتى سقوط الدكتاتور في ٢٠٠٣ م ثقبا أسودا في فضاء الثقافة النجفية ، يلتهم كل ما يقترب منه ، بانتظار أن يرسم زمننا المريض هذا صورة أخرى للشعر في هذه المدينة ، ولا أظنه يفعل لا قريبا ولا بعد حين .

هكذا إذن يتجسد دور الفرد ، وتتضح أهمية أن يضع الإنسان لبنة في البناء ، ولو وجده على وشك الانهيار ، وهذا ما فعله الشيخ رحمه الله ، فأثمرت جهوده بعد حين ، وكان أن امتلأ ذلك الفراغ المرعب بأسماء نقلت الرسالة

www.ketab.ir

الطيبة من جيل إلى جيل ، ولعل بعضها اليوم بمنزلة من الريادة الأدبية والشعرية ، لا في النجف وحدها بل في العراق أجمع ، وربما في أدب العربية بشكل عام .

تلك كانت جهود الشيخ رحمه الله على خارطة التاريخ الثقافي لمدينة النجف الأشرف ، وهي جهود في تفاصيلها الكثير من المعاناة ، والتعب ، والأذى ، والنجاح حينا ، والإخفاق حينا ، حتى اطمأن رحمه الله إلى صيرورة الكائن الشعري الجديد في بداية التسعينات ، وأدرك أن من فارقه من تلامذته الذين تداعتهم المنافي بعد انتفاضة ١٩٩١ المجيدة ، والذين هاجروا محصنين بروح المدرسة النجفية ، سيعودون إليها ليكملوا تلك المسيرة ، وأنا لا أقول شيئا عندما أجزم أن مثل هذا الهاجس كان يعيش مع الشيخ ليل نهار ، أملا في أن يرى في النهاية مدرسة شعرية جديدة تنبثق من رحم تلك المعاناة المريرة .

وهكذا عدنا نحن الذين كنا تلامذة صغارا في مدرسة البرقعاوي الشعرية ، وقد علا رؤوسنا غبار وقائع الدهر كما قال ابن المعتز يوما :

قالَت كَبِرتَ وَشِبتَ قُلتُ لَها هَـذا غُبـارُ وَقـائِعِ الـدَهرِ

عدنا فوجدنا النجف خالية من البرقعاوي الشيخ الجليل ، لكن كل ركن من أركان مجالسها الأدبية ، يفوح منه عطر جبته المتواضعة ، وكل زاوية من زوايا منتدياتها فيه ومضة من نور عمامته المشرقة التي ظلت ناصعة البياض ، وستبقى . . . .

www.ketab.ir

رحم الله البرقعاوي أستاذا ، وشيخا ، ومرشدا ، ومعلما ، وعسى ان يكون جهدنا في إخراج شعره إلى العلن في هذا الديوان بطبعته المتفردة هذه ، خير وسيلة للوفاء بحقه علينا ، سائلين المولى العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته ، وأن يتقبل منا عملنا هذا خدمة لتراث أستاذنا ، ولشعره الحافل بالولاء والوفاء للرسول الأعظم ﷺ ، ولآل بيته الطاهرين عليهم السلام ، عسى ان يحشره الله تعالى معهم ، ويمدنا بنور من هديهم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، انه سميع مجيب .

محيي الدين الجابري

النجف الأشرف

ربيع الأول ١٤٣٦ - كانون الأول ٢٠١٤

www.ketab.ir